مجتمع المعلومات والمعرفة

الخلفيات النظرية والسمات الاجتماعية

د. أحمد الكسيبى

المعهد الأعلى للتوثيق

جامعة منوبة – تونس

المقدمة

فى بداية الألفية الثالثة تقام الاجتماعات الدولية حول موضوع «مجتمع المعلومات والمعرفة» فى العديد من أرجاء العالم[1] بوتيرة سريعة ، كما تقام فى وطننا العربى الاجتماعات والفعاليات – بنفس النسق يصعب فى بعض الأحيان تتبعه ، لما فيها من كثافة وأنشطة علمية واقتصادية وتصاحبها عدة حملات دعائية وتجارية حيث لا تخلو وسيلة من وسائل الإعلام من الحديث عن إمكانيات المعلوماتية والإنترنت تبين الأهمية القصوى لقطاعات الاتصال والمعلومات .

أصبحت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تمثل حلا للمستقبل وتعتبر دعامة أساسية من دعائم التنمية ، وتفتح آفاقا جديدة للتعامل فى الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية وقلما تستغنى التعبيرات السياسية المعاصرة من خطب وتصريحات تبرز أهمية الانخراط ضمن شبكات المعلومات والاستثمار فى الاقتصاد المعلوماتى . وقد وضعت العديد من الدول المتقدمة والنامية إرساء مجتمع المعلومات والمعرفة وتطوير الاقتصاد اللامادى من ضمن أولويات التنمية .

ويبدو أن هنالك اتفاق على هذا التوجه التنموى من قبل العديد من الحكومات العربية[2] ومن قبل الخاصة من المثقفين وأصحاب الوعى وخير دليل على هذا الاتفاق : الدعوة إلى مجتمع المعرفة العنوان التى انتهى إليه تقرير التنمية البشرية

(1) انعقدت مؤتمرات دولية متواترة حول مجتمع المعلومات نذكر منها (جنيف 1992 ، بيونس أيرس 1994 ، بروكسل 1995 ، جوهانسبورج 1996 ، طوكيو 2000 ، باماكو 2002 ، استطنبول 2002 بشأن الفجوة الرقمية جنيف وتونيجا القمة العالمية لمجتمع المعلومات 2003 ومرحلتها الثانية تقام فى تونس عام 2005 .

(2) نبيل عثمان . مقدمة الكتاب السنوى 2001 الهيئة العامة للاستعلامات المصرية الخطة الخمسية السابعة للتنمية فى المملكة العربية السعودية .

فى المنطقة العربية[3] الذى أعده فريق من الخبراء وثلة من المثقفين العرب المعروفين .

أن يستعيد المثقفون العرب المثل التقدمية مثل تحصيل المعرفة يعتبر خير بشير على تجاوز نزعة التشاؤم وجلـــد الذات فى زمن تعاقبت فيه النكسات والأزمات . فالمعرفة تستحق أن يناضل من أجلها المثقفون وأصحاب الوعى الوطنى والقومى لأنها من أرقى المثل العليا التى أبدعها البشر وطلب المعرفة والعلوم هو العنوان الصحيح للحضارة ، لكن من غير مجدى أن يتغافل المثقف على دوره الأساسى فى نقد الإيديولوجيات التى اتخذت أسطورة انتشار المعلومات والمعرفة لتحقيق كل آمال التقدم شعارا لها .

صحيح أن دور المثقف يتمثل فى معاضدة السياسى ليتحقق الوعى بمكاسب المعلومات والمعارف وذلك عند رسم السياسيات وتحديد الاستراتيجيات . لكن لابد أن يرادف هذا الدعم التنبيه ، وبنفس القدر من الوعى ، بالتكلفة الاقتصادية لتوريد تكنولوجيا المعلومات ونشرها وبتداعياتها الاجتماعية والثقافية لأن المعارف قد أظهرت منذ أمد طويل ازدواجية تداعياتها فيمكن أن تحقق المنافع والمضار على حد السواء، والأخطر من ذلك ، أنه بإمكان المعارف حين تنفذ بطريقة عمياء أن تؤدى وتقود الإنسان إلى الفناء .

أن يفضل البعض تسمية المجتمع المعاصر بـ «مجتمع المعلومات» فليس هذا من قبيل الظهور بعلامات الحداثة فقط ولا هو من قبيل إطلاق أحكام اعتباطية بل هو راجع إلى عوامل داخلية تتعلق بما نلاحظه من نمو مطرد لاستعمال المعلومات والتقنيات المتصلة بها خصوصا فى البلاد المتقدمة وعوامل خارجية موضوعية بيئية كالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المرتبطة بالمعلومات .

وقد ساهم العامل الدعائى الذى يمثل بوضوح من خلال نداءات الرئيس بيل كلينتون فى 1993 لتحقيق البنية الأساسية للمعلومات فى الولايات المتحدة عند حملاته الانتخابية التى اعتمدت شعاراتها الاستثمارات والعائدات من هذا المجال . تعتبر هذه الشعارات نقطة لانطلاق لحملات إعلامية واسعة شملت كل البلدان بما فيها البلدان النامية ليصبح مثال المجتمع الكونى هو مجتمع تنحت ملامحه المعلومات والإنترنت . والقصد من الضجة الإعلامية لصناعات المعلومات وتقنيات الاتصال تحقيق إستراتيجيات التسويق للشركات العابرة للقومية[4] وإثارة طلبات ضخمة على أحدث

(3) دأب البرنامج الإنمائى لمنظمة الأمم المتحدة (UNDP) على إصدار تقارير دورية سنوية عن التنمية البشرية لكن منذ سنة 2002 عرفت صدى واسع منذ أن اتخذ أسلوب نقدى بمفاهيم جديدة أكثر شمولية وإنسانية بعثت نوع من الإثارة فى الواقع العربى وقد نشر تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 تحت عنوان «نحو إقامة مجتمع المعرفة»..

(4) أصبحت صناعة الاتصالات منذ بداية الثمانينات من أكثر القطاعات الاقتصادية جنيا للأرباح بعد تقليص دور الدولة فى تنظيم قطاع الاتصالات والمعلومات فى الولايات المتحدة مثلما تبهنا لذلك الوزير مصطفى المصمودى ، سفير تونس فى اليونسكو ، ومن مصممى النظام الإعلامى الجديد .

«أصبح قطاع المعلومات والاتصال القطاع الأكثر نشاطا وقوة فى المرحلة الرّاهنة بالمقارنة مع قطاعات أخرى من أهم الصناعات فى عصر الحاضر إن لم تكن أهمها ويقدر لها أن تحتل 4% من مجمل الصناعات العالمية قبل نهاية هذا القرن، بينما لم تكن تحتل قبل مائة عام أكثر من 2% من الحركة الاقتصادية العالمية » : مصطفى المصمودى . – النظام الإعلامى الجديد . – الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، 1995 . – ص 130 .

تتمثل أساسا فى الأرباح الخيالية التى تجنيها هذه الصناعات[5] وما يرادفها من تغلغل الدول المنتجة لتكنولوجيا المعلومات والمعرفة فى المناطق والمجتمعات «المغلقة» ذات الاقتصاديات المفضلة للمنتجات الوطنية والسياسات ذات التوجهات العمومية .

والأكيد أن هنالك ضغط هائل من جانب الشركات العابرة للقومية وحلفائها للحصول على اتفاق الدول المتقدمة والنامية لكى تهيئ البنية التحتية لإرساء «مجتمع للمعلومات» وما يحيط بهما من إطار قانونى متطور يواكب تحديات الاقتصاد المعلوماتى وإعداد بيئة اقتصادية تعتمد على مبادئ المنافسة والانفتاح للحصول على طلبات متزايدة لتقنات الإتصال والمعلومات .

وقامت الولايات المتحدة بوضع ثقلها كله فى معركة تحطيم الحواجز لتصبح الاتصالات قادرة على الانتقال دون عوائق تذكر عبر العالم كله ، بعد دعوة الاستفادة من خبرات المنظمات الدولية والإقليمية وعلى رأسها الاتحاد الدولى للاتصال UIT ومنظمة اليونسكو وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية فى استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات للتنمية . مثل الاتحاد الدولى للاتصالات ومنظمة التجارة العالمية OMC إلى سياسات ليبرالية تتخلى فيها الدولة عن قطاعى الاتصالات والمعلوماتية وتعزيز دور القطاع الخاص وقد ساهمت هذه العوامل فى بروز مصطلح جديد ، مصطلح «مجتمع المعلومات» .

وعندما نتأمل بدقة مداخلات العديد من الأخصائيين فى مجالات الاتصالات عن بعد والمعلوماتية فى مجال «مجتمع المعلومات والمعرفة» وتصريحات بعض المسؤولين السياسيين[6] نجدها تفتقد فى بعض الأحيان إلى العلمية والمنطق فلا تعريف لمحتويات هذا المجتمع ولا وصف لسماته . فحين نقرأ وثائقهم وتصريحاتهم قراءة نقدية ونطالع بعض مقالات الصحف والمجلات لبعض الأخصائيين نستغرب من سطحية التحاليل وقلة الاستعمالات المبررة مفهوم مجتمع المعلومات والمعرفة .

فمن الناحية الاجتماعية يقر هذا المجتمع دون البرهنة والإقناع بوجوده فلا نجد شرحا لنوعية العلاقات وطبيعة البنى والهياكل والمؤسسات الاجتماعية فى «مجتمع المعلومات والمعرفة» ولا نجد بيان عن نوعية تنظيم العمل ونظم الإنتاج ولا تعطى تفسيرات حول الأنماط الجديدة للحياة اليومية والسلوكيات التى سنعيشها فى ظل هذا المجتمع الجديد ، ومن ناحية المجالات الفكرية المهيمنة لهذا المجتمع وميزاته لا نجد تفسيرات

(5) وفى سنة 2002 قُدّرت عائدات سوق التجهيزات المعلوماتية والاتصالات فى الولايات المتحدة 2.0066 بليون دولار وهى تمثل 6.6 من الناتج المحلى الاجمالى وفى الوطن العربى قدر حجم الاستثمارات المطلوبة حتى عام 2005 لتنمية قطاع الاتصالات والمعلومات 13 مليار دولار حسب خبراء مجال الاتصالات / عنوان مقال فى جريدة الشرق الأوسط 2002/10/03 ولإعطاء وجه للمقارنة تبلغ الميزانية السنوية الدولة التونسية فى هذه الفترة نفس المقدار .

(6) تصريحات بعض المسئولين فى ملف جريدة الشروق التونسية «ماذا ينتظرالعلم من قمة تونس لمجتمع المعلومات ؟» / إعداد خالد الحداد يوم 2004/03/06 .

– نحو مجتمع معلومات عربى ، إطار خطة العمل المشترك : وثيقة معتمدة فى مجلس الوزراء العرب للاتصالات والمعلومات 18 يونيو 2003 . – القاهرة : الجامعة العربية ، وزارة الاتصالات المعلومات المصرية 2003 .

حولها : فمرة يطلق عليه أوصاف الاتصال فيصبح مجتمع الاتصال ومرة يوصف بسمات المعلومات ومرة يتميز بالمعرفة ومرة بالمجتمع المعلوماتى وإطلاق هذه الصفات المختلفة تبين الخلط العشوائى بين مجالات الاتصالات والإعلام والمعلومات والمعرفة والمعلوماتية وتبقى مصطلحاتها مبهمة يكتنف الغموض مقولاتها المتناثرة على العديد من الاختصاصات العلمية (علم وهندسة الكمبيوتر ، علم وهندسة المواصلات ، علوم الاتصال ...) .

وفى ظل هذا الإبهام تبقى تساؤلات محيرة بدون جواب حول معالم العلاقات الإنسانية والاجتماعية هو سيد الموقف . والمطلوب فهم الظروف التى ولدت مصطلحات جديدة بصور أفضل ويمكن اختزال أغلب المواقف التى تحتويها هذه التصريحات والمداخلات إلى منحى تقنوى يقر بوجود مجتمع المعلومات دون تبريره .

أ- نقد الأيديولوجية التقنوية techniciste لإرساء مجتمع المعلومات فى البلاد النامية

إن ترديد عبارة «مجتمع المعلومات والمعرفة» من قبل التقنيين (من مهندسى الكمبيوتر والاتصالات وأخصائيى المعلومات والاتصال وأخصائيى العلوم الاجتماعية والإنسانية) فى مجالات المعلوماتية والاتصال عن بعد فى العديد من المناسبات قد ينطوى على إيديولوجيا تقنوية techniciste تحجب مسار ظاهرة المعلومات وتخفى الجوانب الإنسانية لهذا المجتمع . فهى تتناسى أو تجهل حقيقة أساسية وهى أن المعلومات ظاهرة اجتماعية حضارية شاملة قديمة قدم العالم ، وأن مكوناته الظاهرة لا تقتصرعلى اقتناء آلات حديثة لمعالجة وإرسال المعلومات بل تتطلب العديد من المقومات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية . وأن مجتمع المعلومات الذى تقر بوجوده هذه الفئة من التقنيين لم يتحقق بعد فى أى بلد من بلدان العالم[7] ، بل الأصح بدأ يظهر فى القليل منها وقد وصلت أغلب المجتمعات المتقدمة إلى مرحلة الوعى بأهمية المعلومات Information conscious society يعنى بدأت تدرك أهمية التحصيل عن المعلومات المتولدة من تقارب وتلاقح تقانات عديدة ، وهى مرحلة تحضيرية تبقى فى البدايات من حيث التأثيرات تتعرض فيها إلى وضعية جديدة بدون أن تتوفركل المميزات والخصائص الاجتماعية والثقافية وما يلزم لذلك من تغييرات على كل الأصعدة والمجلات .

وتعتم الرؤى والإيديولوجيا التقنوية على حقائق جوهرية حيث إنها تتناسى أن المعلومات لا تكون ذات قيمة اقتصادية فى البلدان المتخلفة إلا إذا مكنت الناس من الحصول على سلع مادية ملموسة (لأن الحاجيات الأساسية والمادية غير متوفرة فى هذه البلدان بما فيه الكفاية ، مثل الغذاء والمسكن والصحة) .

ولا تزيد المعلومات إلا من ثروة أولئك الذين لديهم قدرة على إنشاء منتجات مادية ولديهم وسائل متطورة لإنتاجها . فالمجتمعات الغنية باستطاعتها

(7) صلاح زين الدين . الأبعاد التنموية لتكنولوجيا المعلومات . فى : السياسة الدولية ع. 55 مجلد 29 (يناير 2004) ص ص 88 - 100 - عبد المجيد ميلاد . - التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصالات والفجوة الرقمية التى أحدثتها . - فى جريدة الصباح التونسية 2004/02/15 .

استعمال نظم معلومات متطورة تؤدى إلى تيسير صيرورة إنتاج سلعها أما فى المجتمعات الفقيرة فإن المعلومات ذات قيمة ثانوية بالنسبة إلى احتياجات الناس الأساسية لأنها لا يمكنها أن تساهم فى إنتاج السلع المادية لعدم توفر القدر الأدنى من الاستيعاب لتلبى هذه الاحتياجات .

وبالرغم من كل ما قيل عن إسهام وسائل المعلومات والاتصال فى التنمية . فهناك من يرون أنها لا يمكن أن تتصدر الحلول للتغلب على مشكلات التخلف . وبعض هؤلاء يتخذ موقفا جذريا تماما ويقول إن حل هذه المشكلات لا يكمن فى استخدام أية وسيلة من وسائل المعلومات والاتصال ، فمشكلات التربية مثلا لن تحل باستخدام الإنترنت لبث البرامج التربوية وإنما هى ترجع أساسا إلى نقص المعلمين والمدربين الأكفاء ، وإلى عدم توفر الاستثمارات اللازمة لإقامة المدارس وتجهيزها بالمخابر والمكتبات الضرورية ... ويستمر القول بأنه لن يحل المشكلات الصحية فهذه المشكلات ترجع أساسا إلى عدم كفاية المرافق الطبية وعدم كفاية التغذية وإلى عدم نظافة المحيط ولن يحل مشكلات الزراعة بإنشاء بنوك معطيات ومواقع فى الإنترنت وتتمثل الحلول كما هو علوم عند أغلب الفلاحين بتوفير المياه والقروض الميسرة للمزارعين وتتعلق بوجود الأسمدة بأثمان معقولة ، وتتعلق بوجود مخازن مناسبة للحاصلات ونظام تسويق منصف ثم إن المشكلة الحقيقية فى الريف لا تتعلق بطرق الزراعة سواء كانت قديمة أو حديثة ولكنها تتعلق بعدالة توزيع الأراضى . ويضيف هؤلاء الذين يتخذون هذا الموقف من تقانات المعلومات ، أننا لو تحدثنا عن فائدتها فيما يتعلق بتيسير تبادل المعلومات وإنعاش أوساط العمل ورواج معطيات اقتصادية فإنه يتعين علينا أن نسأل أولاً : تبادل المعلومات بين من ؟ ورواج اقتصاد من ؟ وهل هذا كله يتم مرة أخرى من أجل صالح القلة أم لتحسين أحوال الغالبية والاختلاف فى المجتمع النامى نفسه يكمن اليوم فى الوصول إلى المعلومة بين من نسميهم أثرياء الاتصال والمعلومات وفقراءه، أى المتمتعين بالتكنولوجيا الإعلامية المتطورة ، وغير المتمتعين بها . وينتقد هؤلاء القول بأن وسائل الاتصال يمكن أن تتيح للناس مزيداً من المشاركة فى شؤون مجتمعاتهم ، ويقولون إن مثل هذه الشماركة لا يمكن أن تتم دون إعادة تنظيم النسيج السياسى للبلاد وتركيبتها الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا لا يمكن أن تتحقق إلا بإرادة سياسية تعمل على التقليص من الفوارق الاجتماعية وتسعى إلى التخلص من التبعية بامتلاك نواصى العلوم والتحكم فى التقانات وكيفية توطينها .

ومن شأن هذا المنحى الإيديولوجى التقنوى الذى جعل من المعلوماتية والاتصال عن بعد حلاً لا حياد عنه أن لا ينسينا مشاكلنا الأساسية التى تسببت فى أن يكون الواقع العربى متخلفاً ومأزوماً على النحو الذى أفاضت فى توصيفه تقارير التنمية الإنسانية .

ولذا لابد من رصد الخلفيات الفكرية للمنحى التقنوى وتتبع ظهور الأفكار والمصطلحات وفك رموزها .

2 - مراجعة للخلفيات التاريخية والنظرية مصطلح «مجتمع المعلومات»

وهذه مهمة لقيتها صعبة وشاقة تتجاوز المحاولات الفردية لأنها تتطلب مراجعة للأدبيات العالمية واستخراج المقولات التى تطرقت لموضوع المعلومات من جوانبها الإنسانية فى تحاليلها ، ورغم هذه الصعوبة سنكتفى بمحاولة تتبع البعد التاريخى والمصطلحى لمفهوم مجتمع المعلومات . ستجازف بالإدلاء ببعض الأسس الفكرية لهذه المصطلحات :

منذ الحرب العالمية الثانية وإثر التحولات العميقة والسريعة التى شهدها العالم فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، انتابت الحيرة العديد من المنظرين عند محاولتهم توصيف وتحليل المجتمعات فى البلدان المتطورة والمصنعة إذ لم تعد نماذج ومصطلحات العلوم الاجتماعية التى تناولها المفكرون فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قادرة على تمثيل الظواهر وفقدت جدواها لأنها عجزت عن تبين مميزاته .

وبعد تبنى المثقفين للمصطلحات الماركسية بعد الطفرة الاشتراكية التى اجتاحت العالم ، وبعد تداول استعمال مصطلحات أمست متكلسة : المجتمع الرأسمالى ، المجتمع الصناعى ، ومصطلح الطبقات الاجتماعية وكل المفاهيم التى تشرح واقع البلدان الصناعية فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فقدت هذه المصطلحات فى تلك الدول وزنها الدلالى . وفى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت العديد من المفاهيم لا تمثل الواقع فى بعض البلدان مثل الولايات المتحدة ذلك أن طبيعة المجتمع ووسائل الإنتاج تغيرت جذرياً من جراء هيمنة وطغيان قطاع الخدمات على القطاع الصناعى فى الدول المتقدمة . ولأن المجتمع الأمريكى مر بتغييرات جذرية سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، أقام بعض علماء الاجتماع مثل شارل ورايت ميلس Mills Charles Wright منذ الأربعينيات الدليل على قدرة علم الاجتماع فى الابداع بإنشاء مصطلحات ومفاهيم جديدة تعين على شرح الظواهر وتساعد الوقوف أمام معناها[8] فى فترة قلما تحفل الأدبيات السوسيولوجية بنماذج نظرية ومصطلحات ملائمة حيث إن المصطلحات المتولدة فى الظروف الصناعية لأوروبا فى القرن التاسع عشر لا تساعد على فهم آليات مجتمعات مختلفة عن المجتمعات الأوروبية كالمجتمع الأمريكى لأنها مختلفة عن نمط الإنتاج السائد فى ذلك الوقت ولا يمكن تطبيقها دون الرجوع للوقائع والإحصائيات المتوفرة .

وقلما وجدنا تفسيرات حول ما تعيشه الولايات المتحدة فى فترة مرور المجتمع من مجتمع يدوى إلى مجتمع «ذهنى» . والقليل من الأدبيات تعرضت لظاهرة التحول عبر التغير من عصر تنشؤ فيه الأشياء والثروات والمنافع بتحويل المواد باستعمال القوة العضلية ثم الآلية إلى عصر يستعمل فيه العلامات والإشارات والشفرات بواسطة المعرفة والفكر .

وقد تفطن ميلس لبروز التغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى كتابه الرقبات البيضاء[9] الذى حلل

(8) Mills, C. Wright. L'imagination sociologique. Paris: Maspero, 1967. 229p.

(9) Mulls, C. Wright. Les cols blancs: essai sur les classes moyennes Américaines. Paris: Maspero, 1966. 367p.

فيه بوضوح العديد من الظواهر الحديثة فى الولايات المتحدة التى لا تدرج ضمن القوالب القديمة وأعطى تركيبة العلاقات الاجتماعية رصد فيها بروز شرائح إجتماعية وسطى ، من خلال الإحصائيات المتوفرة ولاحظ زيادة فى أعداد الأجزاء غير المنتجين ، تستعمل معارفها وفكرها عوضاً عن الرقبات الزرقاء التى تستعمل أيديها . وإضافة إلى فئات التجار والمهن الحرة التى تشتغل فى قطاع الخدمات فئات كبيرة من الموظفين تعمل فى قطاعات التعليم والصحة وإدارة الأعمال والبنوك والتأمينات ، أصبحت تتكاثر يوم بعد يوم .

هذا المنحى الذى يستقصى الظواهر الجديدة لمجتمع تكثر فيه الخدمات بدأ يتبلور فى بداية الستينات حين ظهرت العديد من الدراسات التأليفية التى حوصلت التغييرات الجذرية التى طرأت إثر انعكاس التقانات على المجتمع .

ويمكن سرد اتجاهات البحوث من خلال إستخلاص بعض أدبيات العلوم الاجتماعية وللتوضيح يمكن أن نشير لخطوطها العريضة ، فعند محاولة صياغة المصطلحات لفهم ظواهر المجتمعات المصنعة والمتقدمة بعد الحرب العلمية الثانية تاه المختصون فى العلوم الاجتماعية والإنسانية عدة مسالك نظرية فتعددت المصطلحات لتعريف هذه المرحلة المتقدمة من نمو المجتمعات المصنعة وأضيف إلى المعاجم المتخصصة قائمة من الأسماء حاول خلالها بعض إبراز السّمة الرئيسية لمجتمع المستقبل .

ومن الناحية الشكلية تتداخل وتتضارب تعريفات هذا المجتمع ، وباختزال شديد نعطى بعض الأمثلة فى اتجاهين :

* الاتجاه الأول يقتصر على مصطلحات المستقبلية غير معرّفة تستخدم كلمة ما بعد "POST" متبوعة بصفة السائدة ، مثل : العصر ما بعد الصناعى .
* الاتجاه الثانى يعطى توصيفاً للسمة المميزة للمجتمع وذلك بنعته بصفته التى تتخذها الوسائل أو العلاقات الجديدة للإنتاج ، «المجتمع المرقمن» .

ولبيان وكيفية صياغة المصطلحات التى تصف سمات هذه التغيرات وتعبيرات التأثيرات التقانية نقسم تياراتها تقسيماً إجرائياً حسب وجهة نظر ديناميكية أولاً ومن ناحية أخرى حسب وجهة نظر وظيفية .

2-1 خلفيات المنظور الديناميكي لتفسير التطور نحو مجتمع المعلومات

يفسر التيار التطورى الديناميكى التغيرات فى المجتمعات الدول المتقدمة نتيجة التطور التقانى وتبقى الصناعة هى المحور والخط الفاصل الذى يمكننا من وضع مؤشرات الارتقاء من حضارة إلى أخرى :

وفى هذا المنحى لاقت أطروحات الأمريكى جون كانث كالبرايث John Kenneth Galbraith صدى كبيراً فى أواخر الستينات وذلك عند محاولته كشف اتساق النمو وتحليل الفئات فى المجتمع الصناعى الحديث . واستعمل مصطلح المجتمعات ما يعد الصناعية "société post-industrielle" لكى يبين الدور المتنامى الذى تقوم به التقانات الحديثة فى الحياة الاقتصادية والتحديات التى تفرضها على المؤسسات : الاستثمارات الكبيرة

فى اقتناء المعدات ، التخصص الدقيق وارتفاع مستوى تأهيل العاملين فى المؤسسة .. كل هذه التحولات أدت إلى ظهور العديد من الوظائف كالتخطيط والبرمجة واتخاذ القرارات لم تعد من إختصاص أصحاب المؤسسات فقط ، بل تعود هذه المهام العليا بالنظر إلى فئة تكنوقراطية عبر عنها كالبرايت بمصطلح هيكل التقنيين Technostructure . إذ يتخذ هذا الهيكل قرارات جماعية غيرت من قواعد اللعبة الرأسمالية التى لم تعد تتجه إلى توفير أقصى ما يمكن من الربح بل أصبح نمو حجم المؤسسة بصفة متصاعدة هو الهدف الرئيسى الذى يوجه اختياراتها . وقد وصف كالبرايت تكتل المؤسسات الاقتصادية فى الولايات المتحدة حيث أصبحت 500 شركة تؤمن أكثر من 50 فى المائة من الناتج المحلى (انظر الفصل الموالى حول العولمة والشركات العابرة للقومية) . لكن تبقى مشكلة هذا الهيكل الجديد التكنووستروتكتر أنه لم تتخلص بعد من خلفياته التقنوية ، فبالرغم من توصل هذا الهيكل من تمتين علاقته بالسلطة السياسية ومن تحصل على دعمها فهو لا يهتم بالمناصب السياسية ويوكل للسلط مهمة تنظيم تدفق الطلبات Régulation de la demande ويفضل هذا الهيكل مناولة التقنيات وتفاصيل الإجراءات على متابعة الحاجيات الرئيسية للمستهلكين وعلى رصد طلبات المستفيدين .

ولم تعد المؤشرات المادية فى المجتمعات ما بعد الصناعية حسب العالم الاجتماعى الفرنسى ألان تـوران Alain Tourraine[10] هى المحددة فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بل تداخلت عوامل أخرى مثل التعليم والمعلومات والإعلام . وأصبحت السلط من خلال وسائل الاتصال الحديثة لها القدرة فى التحكم فى أنظمة العلاقات الاجتماعية باعتماد أشكال من الهيمنة «الرمزية» تؤثر فى حاجيات ومواقف الشرائح الاجتماعية المختلفة . وتتفق السلط على منوال للتنمية يعتمد الإنتاجية من خلال ميثاق والسلطة هى مزيج وتحالفات بين القوى السياسية والقوى الاقتصادية تسعى فرض معايير السوق وقيم الاستهلاك مستعملة فى ذلك وسائل وأجهزة فعالة للإدماج والتأثير لا يمكن مقارنتها بإمكانات المقاومة الفردية والجماعية . وهذه الوسائل لا تستعمل القوة لاستغلال البشر إلا عند الضرورة القصوى بل تستعمل المؤسسات التربوية والأجهزة الدعائية للإقناع جاعلة الفرد يوافق على مبادئها وتلك المؤسسات تعد أفراداً يساهمون تلقائياً فى إعادة إنتاج النظم التى لا يتحكمون فيها فهى أنظمة لم تعد تستغل بصفة مباشرة بل تولد وسائل الاستلاب والتغريب أو الزلينة Aliénation .

وفى نفس النزعة التطورية استعمل الكاتب الأمريكى ألفين توفلر "Alvin Toffler" مصطلح الموجة الثالثة وقد صاغه عند محاولته تنميط حركة الارتقاء الحضارى فى منحى تأليفى مبشراً بقدوم حضارة جديدة مبنية على أسس وقواعد العقل والذكاء . تأتى «الموجة ثالثة» بعد تيارات موجتى التغير للبيئة التقناتية (Technosphère) تستند الأولى على تقانات الزراعة التى ظلت تدفق على

(10) Tourraine, Alain. La société post - industrielle. Paris: Seuil, 1976.

العالم مدة آلاف السنين وفى الثانية التى اجتاحت العالم منذ ثلاث مائة سنة والتى أعدتها الثورة الصناعية . وقد أدخلت الموجة الثانية تحول الآلة محل المهارات الفردية للحرفى والطاقة محل قوة الإنسان والحيوان : الإنتاج والاستهلاك الكثيفين . إذ تعززت الطاقة الإنتاجية بشكل تجاوزت فيه حاجيات المحلية والحاجيات القومية لتشمل شعوباً أخرى عن طريق التبادل والاستثمار والاستعمار والاستعمار الجديد ... وتثير الموجة الثالثة ، التى هى فى طور الولادة ويصعب تعريفها لأننا جزء منها وبصددها ولا نملك إلا الإحساس بتأثيراتها ، إعصاراً من التغييرات المتواترة . وقد وصف رياح الإعصار التى تثيرها لمناولة الجينات وإكتشافات الفضاء الخارجى الذى مكن من استعمال السائل لأغراض الاتصال الفورى ... ، ويقلل فى كتابه الموجة الثالثة[11] من وقع الصدمة التى ستحصل ، إذ بشر فى هذا الكتاب بعالم يؤمن بمكانة العلم والمعلومات وبمجتمعات تستخدم مصادر طاقة متنوعة ومتجددة .. ومن أبرز ملامح النمط المجتمعى الذى يرومه ، نزوعه إلى اللامركزية وانتفاء الهرمية والنظام الأبوى البطريركى وبروز مؤسسات وطرق إنتاج جديدة تحمل فى طياتها أنماطاً جديدة للحياة تختلف اختلافاً حاداً مع السابقة تنقذنا من الأزمات الاقتصادية ومن الاضطرابات والنزاعات السياسية التى عهدناها خلال الموجة الثانية . فتاريخ الإنسانية بالنسبة لتوفلر شبيه بسلسلة متعاقبة من الموجات الطويلة تمثل كل موجة منها كتلة مترابطة من المتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية وهذا المنحى متداول عند مؤرخى التقانات الذين يقرون بالحتمية التكنولوجية ويقسمون تاريخ الإنسانية حسب التقانات السائدة .

لقد صنف بعضهم من قبله[12] مراحل الحضارة الإنسانية اعتماداً على أدائها التكنولوجيّة السّائدة فرمزوا لبدايتها بتقانة فجر التاريخ Eothechnic وفى العصر الحجرى الباليوتقانة Paleotechnic وبعد أن نضجت وتعقدت فكانت التقانة المحدثة Neotechnic عصور آلات البخار والكهرباء والآن وقد وصلت الحضارة الإنسانية إلى درجة عالية من الاختراعات التكنولوجية فرمزوا إليه بعدّة تسميات منها «عصر التليفزيون» و «عصر الفضاء» وكذلك «عصر الكمبيوتر» . ولاختزال هذا المنحى التطورى تعتمد للتوضيح نموذج العالم الاجتماعى الأمريكى دانيال بال Daniel Bell[13] الذى وصف فيه تطور المجتمعات وحاول تنميطها فى مجموعات يتم ترتيبها وفق معايير خاصة يمكن على أساسها التمييز وسهولة المقارنة بينها من حيث تماثل أو تنافر بعض عناصر كل نمط وحوصلة هذا النموذج الذى صاغه بال يتبين فى الجدول التالى :

(11) Toffler, Alvin. La troisième vague. paris: Denoël, 1980. 623p.

(12) من أوائل الإسهامات الرائدة فى تنميط التقانة التى تنطلق من الحتمية التقنوية ما قام به لويس ممفورد سنة 1943 .

(13) Bell, Daniel. vers la société post - industrielle. Paris: Laffont, 1976.

جدول بال لمقارنة خصائص المجتمعات البشرية

المعيار / الفترة التاريخ	ما قبل القرن التاسع عشر	من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين	ما بعد 1970
النشاط الاقتصادى	الزراعة الفلاحة	الصناعة	المعلومات / الاتصال
المبدأ	العادات	النمو (الاقتصادى)	التنظيم (للمعرفة النظرية)
القيمة الاجتماعية	القوة الجسمية	الإتقان	الذكاء / القوة الذهنية
مبدأ الحياة	الانتقاء (قانون الطبيعة)	تناول الكائنات (البيولوجيا)	معالجة الكائنات (هندسة الجنات)
تنظيم العمل	العبودية / الإقطاعية	تقسيم العمل (التيلورية)	المشاركة (حلقات الجودة)
شكل العمل	التكرار	الملاحظة / المعالجة	الابتكار والتجديد
التقنيات	الاستخراج	التصنيع – التحويل	الإبداع / الاختراع
المناهج	العادات الشائعة	التجربة	النمذجة / المحاكاة
تقسيم الوقت	النهار ([الآذان] جرس الكنيسة)	الثانية (كرونو متر)	النانوثانية / الثانية على الألف
المنظور التاريخى	ماضوى	العيش مع اللحظة الراهنة	الاستشراف
الطاقة	الماء الريح (العجلة)	الفحم / البنزين (المحرك)	الذرة والمعلومات (الحاسوب)
المواد والمعادن	الحجارة والخشب والحديد	الفولاذ والأسمنت المسلح	المعادن المركبة الأليمنيوم
المهن المسيطرة	يدوية	تقنية	هندسية
قاعدة السلطة	الأرض	المال	المعرفة والعلم
الهدف الإجتماعى	البقاء (الصراع ضد الطبيعة)	الرفاهة (الصراع ضد المنافس)	التحكم – الصراع ضد الوقت والتشعب)
الهدف الإقتصادى	القوت	الإنتاج	المراقبة

وكما يتبين من خلال المصفوفة يبقى القرن التاسع عشر هو المحور عند تصنيف بال لمراحل نمو المجتمعات . فالثورة الصناعية والعلمية لأواسط القرن التاسع عشر ، كان لها أثر بالغ على حياة الجنس البشرى . لقد مثلت قفزة نوعية فى أساليب الإنتاج والأجيال بعادات شفوية وبتبعية للطبيعة ومتسم بنسق بطىء جدا إلى مجتمع صناعى مبنى على أهمية المال يتسم بالآلية ، بالمكننة مع استقلال واضح عن الطبيعة ويتميز بنسق غير سريع إلى مجتمع المعلومات المبنى على التحكم فى المعارف والإبداع ومتسما بالسرعة والتجديد . قد تسارع نسق التطور العلمى فى نهاية هذا القرن تسارعا مذهلا ، وتواترت الاختراعات فى مجال الاتصال والإعلامية . حتى استنبط بعض المفكرين سمة «تسارع التاريخ» لوصف دوامة التحولات السريعة التى ارتبطت بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات باعتبارها قطاعا رائدا .

ويبقى نموذج بال مرتبطا بالتصنيع كمحور يدور حوله تقدم المجتمعات : فالمجتمعات ما قبل الصناعية تتميز بالأنشطة المتعلقة باستخراج المواد وباستعمال القوة البدنية وتستند العادات والتقاليد بينما تعتمد المجتمعات الصناعية على الآلية فى أنشطة الإنتاج المواد المصنعة والترويج وتتميز المجتمعات ما بعد الصناعية أساسا بأهمية قطاع الخدمات وتعويضه للدور الذى احتلته الصناعة فى النشاط الاقتصادى .

ولا غرو إن أكدت العديد من المقاربات على دور التصنيع الاستراتيجى فى تعريف الأنماط الجديدة للتنمية وطبيعة الأنشطة الاقتصادية على المستوى العالمى . لهذا نجد فى الأدبيات السوسيولوجية والاقتصادية مصطلحات عديدة مثل مجتمع فائق التصنيع Société Super-industriell تدور رحاها حول التصنيع وهى تعبر عن المرحلة العليا منه .

وتعبّر مقاربات أخرى عن التنمية الصناعية بدرجات تطور وسائل وقوى الإنتاج أثر الاكتشافات والابداعات التى تحسن سيرورة الإنتاج ، وهى تصنف المستوى الذى بلغته الثورة الصناعية لتحكم على مدى تقدم المجتمعات .

وحسب هذه المقاربات وصلت الدول المتقدمة فى الربع الأخير من القرن العشرين إلى الثورة الصناعية الثالثة التى أعدتها تطور وسائل للإنتاج جديدة (المعلوماتية والآلية والذرة) وقد وصلت لهذا المستوى بطبيعة الحال بعد استكمال الثورة الأولى التى مرّ بها الإنسان منذ اختراع الآلة البخاريّة أساس الثورة الصّناعية والتى اعتمدت قوى الإنتاج فيها على العوامل التالية (الفحم الحجرى ، الحديد الصلب ، النسيج) وبعد بروز الثورة الصّناعية الثانية (البترول والكهرباء ...) المرتكزة على تنظيم العمل الفردى Fordisme ... ويتنبأ الكثيرون بأن العالم سيشهد فى القرن الحادى والعشرين تحولا كبيراً فى تاريخ البشريّة بسبب التطورات التكنولوجية حيث بدأت بعض المجتمعات المتقدمة تدخل مرحلة الثورة الصناعية الرابعة (المولتيماديا والطريق السريعة للمعلومات ، الشغل عن بعد ...) .

وبدأت معالم هذه الثورة المعلوماتية تتضح وتتراءى للبشريّة وأثرت على الحياة المعاصرة أصبحت عنصر أو موردا وقوة أساسيّة فى أى عمل وامتدت آثارها إلى كل أنشطة المجتمع المعاصر .

وبالرغم من اتفاقها على نمو ظاهرة المعلومات تبقى الأدبيات الإجتماعية والاقتصادية فاقدة لتسمية موحدة تعرف بها المجتمع الحالى و«مجتمع الغد» "the future society" وتحدد سماته وتصيغ مصطلح مقابل يتجاوز مصطلحات المجتمع الرأسمالى والمجتمع الصناعى الذين سادا فى القرن العشرين .

وعند محاولة صياغة لمصطلحات جديدة تاه المتخصصون فى عدة مسالك فتعددت المصطلحات لتوصيف الظواهر لهذه المرحلة المتقدمة من نمو المجتمعات المصنعة وأضيف إلى المعاجم المتخصصة قائمة من الأسماء حاول خلالها بعض علماء الاجتماع والفلاسفة إبراز السمّة الرئيسية لمجتمع المستقبل .

باختزال شديد نعطى بعض الأمثلة عن الإتجاه المابعدى يقتصر على مصطلحات المستقبلية غير معرّفة تستخدم كلمة ما بعد "POST" متبوعة بصفة السائدة .

نجد أن من أكثر هذه التسميات شيوعا هو مصطلح «مجتمع ما بعد صناعى» الذى تعرضنا له وقد صاغه العديد من علماء الاجتماع والاقتصاد الأمركان مثل جون كانث كالبرايت ودانيال بال ... ثم اتبعه عالم الإجتماع الفرنسى ألان توران .... حتى تعممت المصطلحات «المابعدية» عند الكثير من الاختصاصات الإنسانية . والسياق نفسه يصوغ جون فرانسوا ليوتار "Jean François Léotard" الفيلسوف الفرنسى مصطلح مجتمع ما بعد الحداثة "société postmoderne" وذلك فى بحثه حول تغيير طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها داخل المجتمع على إثر انتشار الكمبيوتر ونظم المعلومات . ويتخذ دار هندوف Dahendorf النظرية الماركسية مرجعا ويستعمل مصطلح المجتمع ما بعد الرأسمالى وعرف المجتمعات حسب علاقاتها بوسائل الإنتاج – الإقطاعية والرأسمالية والاشتراكية – وقد سمى بيتر دروكر كتابه كذلك «مجتمع ما بعد الرأسمالية»[14] الذى نشر حديث لكن بمحتوى مختلف ضبط فيه وتيرة التغييرات التى تحدثها التقانات فى المجتمعات بمقارنتها بالتغيرات التى حصلت تاريخيا مثل تلك التى قادت أوروبا إلى الانتقال من القرون الوسطى الإقطاعية إلى دول المدنية الجديدة فى القرن الثالث عشر . أما كينيث بولدينق Kenneth Boulding ، وهو من متبعى المنهج النسقى ، يستعمل مصطلح ما بعد الحضارة الذى يتسم بالتشاؤم ، يعكس فيها التعارض بين كل من المجتمع القديم والمجتمع الحاضر والمجتمع القادم ويؤكد أن هذا الأخير سيكون «همجيا» . ويؤكد فوكوياما Francis Fukuyama أننا دخلنا مرحلة ما بعد التاريخ[15] حيث يلاحظ أن كل المجتمعات اتفقت على النموذج الليبيرالى الديموقراطى واكتفت بالحسابات الاقتصادية الجزئية وبالحل التقنى للمشاكل الحياتية والمشاغل البيئية وبالسعى لترضية رغبات الاستهلاك اليومية ، ويقر أن كل هذا تعمّم فى كافة أقطار العالم على حساب الطموحات الجريئة والرهانات المستقبلية التى

(14) Drucjer, p. Post-capitalist society. New York: Harper Busness Books, 1993.

(15) Fukuyama, Francis La fin de l'histoire et le dernier homm; Trad Denis-Armand Canal .- Paris; Flammrion, 1992 . - 445p (Nouveaux Horizon).

تدعونا للقيم النبيلة ، إلى الحق وإلى المساواة والحرية .

والملاحظ أن كل هذه التسميات «المابعدية» كانت تريد توقيف عجلة التطور وتفتقد للمعالم المستقبلية وللآفاق الاستشرافية وكأنها تعتبر أن هذه الفترة هى الأخيرة من عمر الإنسانية وتريد وقف عقارب الزمن حتى أنها قاصرة على إبداع وتوليد مصطلحات جديدة لوصف مستجدات ومتغيرات الحياة .

2-2 خلفيات المنظور الوظيفى الوصفى لمجتمع المعلومات

الاتجاه الثانى هو الاتجاه الوظيفى يعطى توصيفا للسمة المميزة للمجتمع مثل المجتمع المرقمن Société digitale وذلك بنعته بصفة تتجلى من خلال تقنية (الالكترونيك ، الرقمنة) تتخذها الوسائل أو العلاقات الجديدة لإنتاج المعارف والمعلومات .

تروم الأدبيات فى الاتجاه الثانى إبراز الثوابت والجوانب القارة التى تتميز بها المجتمعات المعاصرة فقد إنشاءتها العديد من الاسهامات لتحديد طبيعة المجتمع الحديث واقتبست مفاهيم يصعب إن لم نقل يستحيل حصر كل أوجه مقارباتها التى تنوعت حسب الانتماءات والاختصاصات العلمية وخلفياتها الإيدولوجية .

ولعل من الاسهامات التى وجدت صدى ما قدمه زبيقنيو بارزازنسكى Zbigniew Brzezinski مستشار الأمن القومى لرئيس الولايات المتحدة السابق جيمى كارتر الذى استعمل مصطلح المجتمع التكنوترونيكى Technétronique [16] وهو إدماج للفظتين التكنولوجيا والإلكترونيك . وتبين تجاوز المرحلة الصناعية باستعمال التقنيات لأن المجتمعات المستقبلية تتميز بالاستعمال المكثف للتكنولوجيا والإلكترونيك . وحسب رأيه ، بما أن الولايات المتحدة هى المسئولة عن ثورة التكنوإلكترونيات لابد أن تكون المخبر والمعمل الذى تجرى التجارب فيه وأن تتحمل تأثيرات هذه الثورة وأن تستعد لتداعياتها .

ويعطى بارزازنسكى بعض ملامح هذه التغييرات خصوصا على المستوى الدولى ويدلى ببعض التوجيهات لنجاح الولايات المتحدة للتصدى لهذه الثورة لكى تتجاوزها بسلام خصوصا على المستوى الدولى ويدلى ببعض التوجيهات لنجاح الولايات المتحدة للتصدى لهذه الثورة لكى تتجاوزها بسلام. ولنا عدة أمثلة لمسميات أخرى يضيق المجال لذكرها بالتفصيل نستحضر تلك الصادرة عن فيكتور سكارديقلى Victor Scardiigli [17] يعرف فيها المجتمع المستقبلى بالمجتمع المرقمن Société digitale ليؤكد الاندماج المتنامى لتقانات المعلومات وللحوسبة فى دواليب المجتمع أو تلك الصادرة عن مارتين Martin الذى يشير إلى تنامى دور الربط والتشبيك فى المجتمع المستقبلى فى كتابه المجتمع السلكى The wired society [18] والمجتمع

(16) Brzeinski, bigniew. La révolution technétronique. Paris: Calman-Lévy, 1971. 384p.

(17) Scardigli, victor et al. La société digitale: Les nouvelles tchnologies au futur quotidien. Paris: Seuil, 1984 - Scardigli, victor. - La société de l'information.// lEspace social de la communication. Paris, CNRS, 1985.

(18) Martin, James. The wired society. op. cit.

السلكى نجد له مصطلحات مرادفه مثل تلك التى إستعملها مارك قيوم Marc Guillaume مصطلح Une société commutative مجتمع الاستبدال إعتمادا على تقنية مستعملة فى توصيل الرسائل على شبكات الهاتف التليفون نقل الحزم Com-mutation par paquets عممت فكرتها الأساسية على العديد من تقانات إيصال المعلومات وأصبح بعدها الربط والتشبيك صفة من صفات المجتمعات المتقدمة[19] ..... إلخ .

ومن البديهى أن الاختلاف فى المصطلحات لا يعبر عن الجدال فى المستوى اللغوى فحسب بل نستشف أن وراء المفردات المستعملة عند المختصين تختفى رؤى مختلفة لطبيعة المجتمع وآفاقه وقد هذه الرؤى ولدت نظريات تبرر منهجها ومصطلحاتها تخضعها للعديد من المقاييس يضيق المجال للتعرض لها .

2-3 المنظور التأليفى مجتمع المعلومات :

وبعد هذا التيه فى التعبيرات ومعانيها قد بدأت تهل فى أواخر القرن السابق معالم الاتفاق على أن المجتمع الحالى والمستقبلى هو مجتمع المعلومات . وحين حصل الالتقاء حول هذا المصطلح يتنتقى الجدل النظرى والمنهجى القائم وتقر أغلب التيارات الفكرية على أن قوة تكنولوجيا المعلومات هى التى تعطى الوتيرة لتوجهات العصر الجديد . وهى تفوق ما سبقها من تكنولوجيا فى نسق التغيير وتتعدى التقانات الأخرى فى شيء أساسى وهى أنها شاملة تقطع طولا وعرضا جميع الأنشطة المجتمعية وتنقل معظمها من مهارات يدوية إلى أنماط فكرية .

إذ «يشهد المجتمع ما بعد الصناعى فى الدّول الغربية المتقدمة تحولا هائلا نحو الوظائف المتعلقة بالمعلومات ، تحول إلى إدارة المعلومات وأصبحت بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان مجتمعات تعتمد اقتصادياتها على الخلق والإبداع والاختراع وعلى استخدام وتطويع ونقل المعلومات أكثر اقتصاد يعتمد على البضائع المادية ...

فيتميز المجتمع المعاصر بالاتجاه نحو النظرى ، نحو التحليل ، نحو التقييم وصبح المعلومة المادة الأولية الاستراتيجية فهى تمثل العملة الذهبية والمصدر والينبوع المتجدد للقوة الاقتصادية وبالتالى يصبح الأعوان المشتغلون بإنتاج وتوزيع المعلومات والعاملون فى هذا القطاع متحصلين على مكانة هامة تكبر يوما بعد يوم ..

وأدت هذه الفرضيات بالعديد من العلماء والاستراتيجيين الذين يعملون ضمن استشرافية مثل جمعية عالم المستقبل world future society إلى مرادفة المجتمع المستقبلى بمجتمع المعلومات .

ولعل أول من عبر عن هذا المصطلح بمنهجية نسقية وبصياغة تأليفية متميزة فى نماذج واضحة هو حسب رأينا اليابانى يونجى ماسودا "Yondji Masuda" فى كتابته العديدة[20] وقد دون ملخص أفكاره فى

(19) Guillaume, Marc. Une société commutative // Actes du colloque: Vers la société de l'information. Rennes: Editions Apogée, 1995. p. 7.

(20) صاغ لحكومته تقريرا سماه (خطة من أجل مجتمع المعلومات : هدف الوطنى اليابانى نحو الألفية الثالثة) .

كتابه (The Information Society)[21] وهو عبارة عن دراسة مستقبلية يبشر فيها بمجتمع المعلومات لمجتمع الذى عمل فيه المجتمع اليابانى بالتحديد وهو من واضعى السياسة اليابانية فى مجال الحوسبة فى الستينيات .

ويطرح ماسودا تصوره للتحولات التى ستطرأ وتعد لمجتمع جديد على كل الأصعدة فى أشكال تنظيماته وصناعته وطبيعة خدماته وأدوار أفراده وحكامه ونسق القيم والمعايير التى تحكم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات داخل المجتمع .

كما تنبأ بأن هذه الثورة التكنولوجية سوف تحدث تغيرات حادة لم يعرفها المجتمع الإنسانى من قبل ، وهذه التغييرات تظهر فى ثلاث مستويات :

- **المستوى الأول** : أتمتة العمل الفكرى (L'automatisation du travail mental) باستعمال تكنولوجيا المعلومات (أى مختلف النشاطات الفكرية وكل الخدمات التى تتصل بالمعرفة) يؤكد ماسودا أن نظم أتمتة المعلومات ستدخل خلال الـ 20 أو 30 سنة القادمة كل الميادين .
- **المستوى الثانى** : ناتج عن المستوى الأول توسيع وتضاعف قدرة الإنتاج المعرفية والفكرية فى أنساق معلوماتية وتكنولوجية .
- **المستوى الثالث** : تحولات سياسية ، اجتماعية واقتصادية كنتيجة للمستوى الأول والثانى . إن مجتمع المعلومات سيصبح نموذجا جديدا للمجتمع الإنسانى يختلف اختلافا تاما عن المجتمع الصناعى الحالى حيث سيعوض إنتاج القيم المادية بقيم معلوماتية ستصبح بدورها القوة الدافعة فى تشكيله وتميته .

وبفضل تحليل معمق لإرهاصات المجتمع المستقبلى وضع ماسودا جدولا للمقارنة بين المجتمع الصناعى ومجتمع المعلومات ، ويتخلص كالآتى :

(21) Masuda, Yoneji. The Information society. Washington: world future society, 1981. - 171 p.

جدول MASUDA ماسودا لمقارنة المجتمع الصناعى بمجتمع المعلومات[22] .

المجتمع الصناعى	مجتمع المعلومات
* أبرز اختراع المحرّك البخارى (Steam Engine) الذى عوّض القوّة البشرية (يعنى الرفع فى الإنتاج المادى) .	* أبرز اختراع تكنولوجى الكومبيوتر الذى سيطوّر ويوسع إنتاج الفكر البشرى (إنتاج المعلومات وسرعة تنقلها) .
* البنية التحتية تشتمل : المصانع والآلات والإنتاج المادى .	* البنية التحتية ستصبح تكنولوجيا الاتصال (الكومبيوتر أو الحاسوب وبنوك المعلومات وشبكات الاتصال) كل ذلك سيعوض المصانع والعمل اليدوى كقيمة اجتماعية .
* النظام الاقتصادى والاجتماعى الصناعى :	* النظام الاقتصادى والاجتماعى المعلوماتى :
* الرأس مال الخاص + الربح . * التنافس . * تفريق بين الإنتاج والاستهلاك .	* تعاضد (الطاقات) Synergie * التوافق فى العمل + الربح الاجتماعى * عمل مشترك واستهلاك مقسم
* السوق : يعتمد العرض والطلب يزدهر حسب ثمن السلع والبضائع . * استعمال القوة لتنمية الاقتناء والشراء «المستعمرات» الوصول إلى أقصى قدر من الاستهلاك .	* سوق المعلومات حسب الأهداف تنمية قضاء المعرفة . أقصى قدر من التوليد المعرفى
الهياكل اجتماعية = طبقية طبقية / مركزية السلة / المراقبة	هياكل اجتماعية : وظيفية تعدد الوظائف وتعدد المراكز واستقلالية الفرد عن المؤسسات
المؤسسات الاقتصادية الاجتماعية : ثلاث مستويات : 1 – المؤسسات الخاصة . 2 – المؤسسات العمومية . 3 – أملاك الدولة .	المؤسسات الاقتصادية اجتماعية فى مجتمع المعلومات مجموعات متطوعة تعمل فى مستويين : 1 – المجموعات المحليّة (Local communities) . 2 – المجموعات المعلوماتية (Inrofmation communities) .
شكل النظم السياسية : الحكم برلمانى ديموقراى القوى السياسية : الأحزاب النقابات وحركات العمال والإضرابات المشاكل السياسية : الحروب ، الفاشية ، البطالة	شكل النظم السياسية : مشاركة كل المواطنين سهولة النفاذ لوسائل الاتصال التفاعلية القوى السياسية : حركة المواطنين . رفع دعاوى وفرض الإستفتاءات المشاكل السياسية : «صدمة المستقبل» ، الإرهاب التعدى على حرمة الفضاءات الشخصية .
القيم الأخلاقية والمعايير : حقوق الإنسان قيم مادية إشباع الرغبات والحاجات المادية التحرر	القيم الأخلاقية والمعايير : الانضباط الذاتى التضامن الاجتماعى قيمة الوقت الرضا عند تحقيق الأهداف المنشودة العالمية والكونية

(22) Masuda, Yoneji. op. cit., p. 30 .

إن إضافات مقاربات ماسودا تتمثل فى توضيح خصوصية المجتمعات ما بعد الصناعية التى ترتكز على المعلومات والمعرفة وبيـان سماتها وأدوات إيصالها .

وهذه المقاربات بالرغم من صحة بعض تنبؤاتها (تنبه أن الإرهاب سيكون شكل من أشكال الحروب المستقبلية نظرا لتحكم الدولة فى كل الأجهزة الأمنية وقوة مراقبة الدولة الأفراد وتتبعهم) .

إلا أنها تتسم بالتفاؤل المفرط فقد بشرر ماسودا بمجتمع يعتمد الحواسيب متعدد المراكز ومتعدد المستويـات والآلية يحل مشاكل المواطنين ويجعلهم منسجمين لتحقيق أهداف متفقين عليها بطاوباويـة تتعدى طوبـاوية مجتمعـات الفالنستار لفوريـى فيعـد بـ كمبيوطوبيـا "Computer Computopia" based Utopia[23] .

والمهم أنه واعى بما يدعو إليه مجموعة من القيم التى ستنتشر حول العلم ومجموعة المثل العليا التى يتسم بها المجتمع المرتقب فهو يعرف «كمبيوطوبيا»

"An ideal global society in wich multi - centred, multi-layered voluntary comunities of citizens participating voolantary in shared goals and ideas flourish siimultaneously throughout the world"

هو ما يجعلنا نفكر أن كمبيوطوبيا ماسودا هى نفس المدينة الفاضلة التى نادى بها المفكرون والفلاسفة منذ عهود غابرة لتحرير الإنسان من المكبلات .

وهذا المنحى يستمد مقولاته من مفاهيم تطرق إليها بعض مؤرخى التكنولوجيا وعلماء الاجتماعى الصناعى ترتكز على مقاربة تستمد جزورها من «الحتمية التكنولوجية» التى أشرنا إليها عند تقديم مقاربة توفلر . وقد أسسوا نظرياتهم حول مبدأ يصبح فيه التقدم التكنولوجى معيارا للرّقى الاجتماعى وهو الحل لكل إشكاليات التخلف ، وعل المجتمع بأسره أن يسعى دوما لتحقيق التقدم ليس ضمانا للازدهاره فقط بل لبقائه أيضا .

وقد استعمل العديد من المفكرين الغربيين مثل الثنائى نورا ومنك فى تقريرهما حول حوسبة المجتمع الفرنسى[24] فى نهاية السبعينيات العديد من النماذج والآراء التى تشابه تلك التى قدمها ماسودا فى هذا الجدول وضعوها فى أشكال وصيغ عديدة يمكن أن نستخلص منها عددا من الخصائص والملامح الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع المستقبلى .

بانتشار تكنولوجيا المعلومات المتقدمة يصبح الاتصال والمعلومات المحرك الرئيسى للنّمو الاقتصادى والرقى الاجتماعى والإنسانى :

- تتحول الطاقة البشرية من استخدام القوة العضلية أو الجسمية والطاقة المادية إلى استخدام القدرات العقلية أو الذهنية .

(23) Masuda, Yoneji. Computopia: Unavoidable Alternatives For the Information Area. Washington: World future society, 1975.

(24) NORA, Simon. Minc Alain L' Informatisation de la société / Simon Nora, Alain Minc . - Paris : Ed. du Scuil, 1978. - 162 p.

- يتحول الاقتصاد من إنتاج البضائع والسلع المنصعة إلى إنتاج المعلومات وتظهر المعلومات كمصدر ومورد أساسى ورئيسى بعد أن كانت عنصرا ثانويا فى الإقتصاد الصناعى .
- تتكثف الأنشطة المهنية والخدمات عن بعد (التعليم الصحة والثقافة والعلوم وحماية المحيط) تؤمن آفاق عريضة للتكوين والتشغيل .
- يدعم القطاع الخاص الاستثمار فى مجال الاتصال بعد أن احتكرته الأجهزة الحكومية (البنى التحتية والبرامج الخدمات) ويسعى المتدخلون للتفاعل والتكامل بين القطاعات الثلاث (عام خاص جمعياتى) .

كل هذه العوامل أدت إلى التحول من الاقتصاد الصناعى إلى اقتصاد المعلومات والتحول كذلك من الاقتصاد الوطنى إلى الاقتصاد العالمى .

- اعتبار التعليم عملية استثمار إستراتيجية وقوة تطويرية هامة فى المجتمع المعلومات الجديد .
- باستعمال مناهج وآليات جديدة للتعليم والتربية ذات تكاليف متواضعة ، تصطنع فضاءات مدرسية وجامعية[25] جديدة لكافة الرغبات والتخصصات ، تؤمن حوار عبر الشاشة ولقاءات بين الأعضاء المشاركين ومحاضرات عن بعد ومشاركات على المستوى العالمى وارتباطا مباشرا بقواعد المعلومات والمكتبات .
- مساهمة القطاع الجمعياتى فى البحث العلمى والتوعية الشعبية بأهمية الانعكاسات المنتظرة تفضى لتنمية القدرات العلمية .
- انتهاء عهد وسائل الاتصال الجماهيرى وبداية عهد الجمهور المستهدف والاتصال التفاعلى .
- التدريب على المشاركة فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية باستعمال الوسائل التحاورية .
- ظهور مبدأ المشاركة فى اتخاذ القرارات (الديموقراطية المباشرة - الاستفتاءات الالكترونية) الانتقال من المركية إلى اللامركزية ثم إلى المحلية .
- نتيجة التدفق الحر للمعلومات ظهور مبدأ المنتج - المستهلك للمعلومة السلعة الأساسية فى سلسلة مترابطة (أو المنتهلك كما يسميه توفلر) .
- الاعتراف بدور المعلومات كعنصر هام وحيوى فى تقوية المبادىء والقيم لثقافية للمجتمع ودورها فى عملية التطوير والتنمية .

الالتزام المشترك باحترام سلامة المعلومات والملكية الفكرية[26] .

والمتأمل بدقة للملامح والمميزات مجتمع المعلومات الذى حوصلنا يلاحظ أنه لم تتوصل الدول المتقدمة بعد إلى هذه المرحلة فحتى تتحول

(25) توصيات الندوة الدولية للتعليم عن بعد التى نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم فى تونس 18 - 21 نوفمبر 1998 .

(26) دياب ، مفتاح محمد . مجتمع المعلومات دراسة فى نشأته ومفهومه وخصائصه ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س 11 ، ع. 1 (يناير 1997) ، ص 51 .

الظاهرة إلى حقيقة اجتماعية واقتصادية ومعطى ملموس لابد من فترة طويلة تناهز على الأقل استخدام جيلين متتالين لتقاته ما . وهى الفترة الدنيا التى حددها دروكر فى مقدمة كتابه «مجتمع ما بعد الرأسمالية»[27] فعندما نعيش فترة من المخاضات والتغييرات التقاتية تقودنا لما حاله إلى عالم جديد يتبين معالمه فى الخمسين سنة التالية . فخلال بضع عقود قادمة سيقوم المجتمع بإعادة تنظيم نفسه ويعدل رؤيته للعالم ويحدّث قيمة الأساسية وبناه السياسية والاقتصادية ويبدل فنونه وإنتاجه . وقد ذكر جوزيف بلتون عند حديثه عن مجتمع المعلومات أن عدد قليل من البلدان لا يتجاوز 12 بلد (الولايات المتحدة ، اليابان، سويسرا ، السويد ...) دخلت فى هذه المرحلة وبالرغم من أنها تشكل ما نسبته 25 من مجموع سكان العالم فإنها تملك أكثر من 80 بالمائة من أجهزة الهاتف ، وأجهزة الحواسيب وأجهزة التليفزيون[28]. صحيح إن الحوسبة والتشبيك أحدثت تغييرات عميقة وفرضت نوعية جديدة من الخاضيات الاجتماعية تعكس الحاجة الإنسانية المرتبطة بنمو المجتمعات الحديثة . فالبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى كل المعمورة تعتمد على أجهزة الحواسيب المربوطة بعضها ببعض فى شبكات متكاثفه متراصة لكن يجب أيضا أن نعى بأن العالم فى الوقت الرّاهن نحو نظام اقتصادى عالمى غير عادل وغير متكافىء قوامه قطاع المعلومات والاتصال .

الخاتمة :

هل يتساوى مجال المعلومات عند المجتمعات المالكة والحائزة للتقانة مع بيئة مجتمعات متخلفة تستورد وتستعين بالتكنولوجيا لحل مشاكلها ؟ هل يمكن أن نعتبر أن التقانات المعلوماتية من حواسيب وشبكات تكتسب صفة العالمية عندما تبقى امتلاك ناصيتها ومعالمها منحصرة عند بعض الدول الصناعية الكبرى فى أمريكا الشمالية وبعض دول أوروبا الغربية واليابان؟ وهل تتسم معالم مجتمع المعلومات بالكونية فى حين أن أغلب دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية مازالت تعيش فى مرحلة الصناعية مستحدثة أو مرحلة ما قبل الصناعية .

وهل يمكن أن يساير المتخلفون سرعة التحولات واللحاق بالركب خصوصا أن النظام الاقتصادى العالمى لم يعد مقصورا على التبادل المنتجات المادية وعلى تقسيم الأعمال بين أقطار مختلفة فحسب بل سيتفرض شبكات المعلومات الترابط بين كل المجتمعات لتيسير تبادل سلع غير مادية وتمكن من فتح فضاءات للمعاملات تتيح لكل الأقطار والفئات والأفراد من المشاركة فى أى حين ، وأى شىء يحدث فى جزء من الشبكات حتى فى أفقر المناطق وأقصاها لابد أن يؤثر فى أجزائها الأخرى . ولاشك أنه مع تعميم نظم المعلومات ووسائل الاتصال يزداد التفاعل بين المجتمعات المختلفة ويتم التأثر سواء بالسلب أو الإيجاب بسرعة تفوق بمراحل ما كان عليه الأمر

(27) Drucker, P. Post-capitaliist society. op. cit. p. 1.

(28) مفتاح ، محمد دياب . مجتمع المعلومات : دراسة فى نشأته ومفهومه وخصائصه ، مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س 11 ، ع . 1 (يناير 1997) ص 51 .

فى الماضى . لكن العلاقات الإلكترونية الكونية تفرض على البلاد النامية تحديات وقاسية ، فهذه النظم والفضاءات الحديثة تغير كل الحدود القديمة تثير الشعور بالارتياب وتقلب كل المفاهيم والممارسات التقليدية وتتطلب جهود مضنية لتحديث المعارف والمهارات وتفرض «ركوب القطار وهو ينطلق» وإلا يترك المتخاذلون على «حافة الطريق» أو يرمى تيار العاصفة بهم على هامش الحضارة القادمة . فقد دخل العالم اليوم حلقة جديدة من التنظيم العالمى الذى يجعل الكون يرتبط بعضه ببعض بشتى طرق بحيث أصبح من باب اللامعقول لأى مجتمع أن يظن أنه سيكون خارجا عن هذه المنظومة الكونية الحالية التى أدخلت على الإنسانية معايير جديدة ومنطقا جديدا للتعامل والتفكير والسلوك يعبر عن هذه الحقبة بالعولمة والكونية .

وبالتالى أصبح من غير الممكن تحقيق أمن مجتمع من المجتمعات أو أمن فرد من الأفراد من المنظور العام للأمن دون اعتبار لموقع الآخرين وما يحدث فى المجتمعات الأخرى . ولا يجب أن يؤخذ ذلك على أنه قيد يشل من حركة المجتمع إذا تعارضت مع مصالح ورغبات المجتمعات والقوى المختلفة ، ولكن يعنى أن الراغب فى التقدم يجب عليه أن يكون قادرا على تحديد أهدافه بدقة وفق مسار وظروف الآخرين بتوفر المعلوما والمعرفة عنهم لضمان سرعة ودقة التحليل والقدرة على استنباط الحلول واتخاذ القرارت المجدية .